الابتكار وأهميته في ثراء البحث العلمي

Innovation and its Importance Role in Enriching Scientific Research

أ.د. عبد العزيز بن صالح العمَّار - أستاذ البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

Email: aa2008ss@gmail.com

ملخص البحث:

تحدثتُ في بداية البحث عن الدلالات اللغوية لمعنى الابتكار، مجيبا عن عدد من الأسئلة المتعلقة به، وهي: لماذا الابتكار؟ ولماذا نهتم به؟ ونطالب به وندعو إليه؟ ومن خلال الإجابة عن الأسئلة المتقدمة يتبين أهمية الابتكار، وأنه ضرورة ملحة لنا في حياتنا العلمية والبحثية.

مبينا أن في الابتكار توظيفا لطاقات العقل وقدراته التي منحها الله إياه، وهي قدرات لا حد لها، ولكنها بحاجة إلى من يستثمرها، ولن يكون ذلك إلا إذا أطلقنا العنان لأنفسنا ولأبنائنا ولطلابنا لكي يبدعوا ويبتكروا في كافة المجالات، وكل التخصصات.

كما أن الابتكار استجابة لكثير من الآيات القرآنية التي تأمر بالتفكر، وباستخدام العقل والنظر، ويكفي أن نعلم أن الغرض الرئيس من نزول القرآن الكريم هو التدبر، والتدبر عملية ذهنية علمية تقوم على الاستنباط الدائم، وعلى الأفكار المتجددة، فهو من الابتكار في الصميم.

ومن ثم يتجه البحث إلى بيان توظيف الابتكار في البحث العلمي ، مبينا أن له أثرا فاعلا في ثراء البحث العلمي، فمن خلال الابتكار تتجدد العلوم، وتتولد الأفكار، ونقضي على الأفكار المكررة التي أكل عليها الدهر وشرب، ومن التبعية العلمية في الأفكار البحثية، وفي الآراء العلمية، مؤكدا على ضرورة أن نفتح المجال فسيحا أمام طلاب الدراسات العليا وطالباتها ليحلقوا في سماء الابتكار، في جميع مجالاته المتعددة، مبينا العواقب الحميدة التي ستعود على البحث والباحثين وعلى الوطن بأسره حين ننطلق من الابتكار ونوظفه في البحث العلمي في جميع المجالات، وكل في تخصصه، وبيان الجهات المسؤولة عن الابتكار في البحث العلمي على مستوى الأفراد والمؤسسات التعليمية والبحثية .

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، الابتكار، الابداع

Abstract

The research deals with the topic of innovation, its definition and importance. It tries to answer basic questions such as; why innovation? Why should we consider the topic of innovation? Why should we ask for having a high level of innovation? Through answering these questions, the importance of innovation appears. It is indicated that innovation became very urgent in our practical life and research fields.

Innovation employees the powers of the mind and its abilities created by God and they are limitless capabilities but need to be invested properly. Innovation comes as an answer to many Quranic verses that calls for thinking, using mind, and meditation. In fact, meditation is a scientific mental process based on constant deduction and renewed ideas. It is based on innovation and its core.

Through innovation, science is renewed, ideas are generated, and repetitive ideas that have become obsolete are eliminated. Innovation fights scientific dependency in research ideas and scientific opinions. Therefore, it is important to specify the bodies responsible for innovation in scientific research at the level of individuals and educational and research institutions.

Keywords: Scientific Research, Innovation, creativity

توطئة:

لا بد أن يُعلم أن الدراسات العليا لا تخاطب إلا أهل التميز والابداع الذين إذا غامروا في شرف مروم لم يقنعوا بما دون النجوم، فهم ينشدون الكمال البشري؛ لأنهم يعلمون أن الكمال وإن كان عزيزا إلا أنه مطلب لأصحاب الهمم العالية، والنفوس التواقة، وفي لفظة (العليا) إشارة إلى هذا المعنى، وتأكيد عليه، فلا مكان في الدراسات العليا لأصحاب الهمم المتدنية، وللمتكاسلين، ولمن يقنعون من الغنيمة بالإياب، أصحاب الهمم العالية لا يقنعهم النجاح، بل لا يبغون عن التميز بدلا، ولا يريدون غير الابداع سبيلا، وهم المخاطبون بقول المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام [1]

ومن هنا جاءت مشاركتي في هذا المؤتمر بعنوان (الابتكار وأهميته في ثراء البحث العلمي)

وأقدم بين يدي هذا البحث عددا من التساؤلات المهمة المتعلقة بموضوع الابتكار.

1. لماذا الابتكار؟ ولماذا نهتم به؟ ونطالب به وندعو إليه في بحوثنا العلمية؟
2. هل نحن بحاجة إلى الابتكار، وذكر مسارات بحثية جديدة؟
3. وهل الابتكار في البحث العلمي هم وهاجس عند المسؤول؟
4. وهل الابتكار في البحث العلمي ضرورة علمية، أو ترف فكري؟
5. ومن هو المعنيّ بأمر الابتكار والمسؤول عنه، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات؟

أولا: لماذا الابتكار؟ ولماذا نهتم به؟ ونطالب به وندعو إليه في بحوثنا العلمية؟

فلماذا الابتكار؟ ولماذا نهتم به، وندعو إليه في بحوثنا العملية؟ ولماذا نطالب به طلاب الدراسات العليا وطالباتها؟

يحسن قبل الإجابة عن هذا السؤال أن أبين مرادي بالابتكار في هذا البحث، ليكون القارئ على بينة منها ومن دلالاتها، ففي الابتكار دلالة على الجدة والطرافة والإبداع، يدل على ذلك المعنى اللغوي للفظة الابتكار فهي تدل – كما يذكر ابن فارس- على الابتداء، وعلى أول الشيء، ومنه التبكير، ومنه كذلك البكرة والبكور، لكونه مبتدأ النهار وأوله [2]، ، ومنه: الباكور وهو المطر الذي يكون في أول الوسم، والباكور من كل شيء المعجَّل المجيء، والباكورة أول الفاكهة. [3]

ومن هذه المعاني اللغوية ودلالاتها يتبين المراد بالابتكار في الاصطلاح، وفي البحث العلمي، فالمراد به أن يكون البحث جديدا، إشارة إلى أن الباحث جاء بشيء من العلم والنتائج، لم يكن فيها مسبوقا ولا تابعا، فهو أول من ذكر هذه المعلومات، وعرفها، وعرّف الناس بها، فمكان أن الابتكار في تعريفه اللغوي الأول في كل شيء، فكذلك الباحث يجب أن يكون في بحثه الأول في كل شيء، في فكرته البحثية، وفي طريقة تناوله، وفي نتائج بحثه، وفي توصياته، بل وفي كل خطوة من خطوات بحثه، وإلا صار عمله مكررا معروفا، قصارى جهده أن يقول ما قال الباحثون قبله، يكرر أقوالهم، ويتبنى آراءهم، ويسير على خطاهم، فإذا كان الأمر كذلك فقل على البحث السلام.

أما لماذا الابتكار؟ فلأن في ذلك اعترافا بقدرات العقل، فطاقات العقل لا حدود لها، فهو الذي قاد العالم كله بأفكاره وابتكاراته، وما الصناعات والمنتجات إلا فكرة مبتكرة، وجدتْ التشجيع، وحظيت بمن يأخذ بيدها، فرأت النور، وأفادت البشرية.

كما أن في الابتكار تحقيقا لتميز الإنسان وتمايزه عن جميع المخلوقات، فقد ميز الله – سبحانه وتعالى – الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل، ومن خلال التوظيف الصحيح للعقل يكون الابتكار، وتكون الأفكار المبدعة التي تفيد الناس في حياتهم: أفرادا وجماعات.

ففي الابتكار تحقيق للذات، وتوظيف للطاقات والقدرات التي منحنا الله إياها، ومن شكرها: الإفادة منها، وتوظيفها التوظيف اللائق بها، فلا حدود لطاقات العقل وقدراته، والتوظيف الصحيح له أن نطلق له العنان، ونجعله يحلق في سماء الإبداع والابتكار.

والابتكار غاية سامية تسعى إلى تحقيقه النفوس الطامحة ذات الهمة العالية، وإن كان تحقيق الإبداع عزيزا ومتعذرا في كافة المجالات، وفي جميع المستويات إلا إنه مطلب يجب إلى أن تسعى الهمم العالية إلى تحقيقه، فلا يُخاطب بالابتكار إلا أصحاب الهمم العالية، والنفوس الطامحة الوثابة.

وينبغي أن يُعلم أن الابتكار الذي نطالب به الباحثين من الأساتذة من أعضاء هيئة التدريس، ومن طلاب الدراسات العليا في بحوثهم العلمية ليس ترفا فكريا، بل هو حاجة ملحة في ظل الأزمات والتعقيدات، فينبغي أن تكون الأفكار لدينا أكثر من مشكلاتنا، وأن تُحل بطريقة علمية مبتكرة، فهناك كثير من العقبات والمشكلات والأزمات في حياتنا العلمية والعملية، وعلينا جميعا أن نتجاوزها كلها من خلال الابتكار، ولا يصح أن تكون عائقا بينا وبين الإبداع الذي نهفو له، وندعو إليه.

وثمة قضية مهمة في موضوع الابتكار، وفي إلحاحنا عليه، ومطالبتنا به، وهو أن الابتكار يأتي استجابة لكثير من الآيات القرآنية التي تأمر بالتأمل والتفكير والنظر والتدبر، فثمة نصوص قرآنية كثيرة تحث على التفكر والتأمل، وتعلي من شأن العقل والعقلاء.

---

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي ا لبقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان:345/3

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة بكر.

(3) انظر: لسان العرب، مادة بكر.

يكفي أن نعلم أن مادة (فكر) وردت في القرآن ثمانية عشرة مرة بصيغ مختلفة[4]، ومن الشواهد على ذلك قوله – تعالى : (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)[5] [وكذلك قوله: (فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون)[6]وكذلك قوله – تعالى : (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) [7]وغيرها، أليس التفكّر في مخلوقات الله دعوة إلى الابتكار في جميع مجالات الحياة؟ بلى، وهذا يقين راسخ لا يتزعزع ولا يتضعضع أمام كل الدعوات والإحباطات التي تحد من طاقات العقل وإبداعاته.

يخاطب الله سبحانه وتعالى في كتابة العزيز أصحاب العقول بقوله تعالى:" إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ"[8]، وكذلك قوله:" وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" [9]، أليس التفكّر في مخلوقات الله دعوة إلى الابتكار في جميع مجالات الحياة؟

يكفي أن نعلم أن الغرض من نزول القرآن هو التدبر، بنص صريح من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: - عز وجل - (إنما يتذكر أولو الألباب) [10]؟ وما الابتكار إلا ثمرة من ثمرات التدبر، ونتيجة من نتائج التأمل والتفكر وطول النظر.

- **أهمية الابتكار في إثر البحوث العلمية**

وأما ما يتعلق بأثر الابتكار في البحوث العلمية، فإن له فيها أثرا فاعلا، كما أنه سبب رئيس في إثرائها وتطورها، والدفع بعجلة البحث العلمي إلى التقدم والازدهار، بل إن الابتكار والبحث العلمي وجهان لعملة واحدة، ولن يستقيم البحث العلمي، بل لن يكون بلا ابتكار، بل سنحكم عليه بالموت والجمود والتوقف، فالابتكار طبيعة البحوث العلمية، وعليه تقوم وترتكز، ومنه تكون وتنطلق، وقد دل على هذا المعنى وأكده لفظة (البحث) في القرآن الكريم، في قوله تعالى "ُاً فبعث الله غرابا يبحث في الأرض" [11] فورد لفظة (البحث) فعلا مضارعا له دلالته المهمة المتعلقة بالابتكار، فالفعل المضارع يدل في اللغة العربية على التجدد والاستمرار، فهو بحث متجدد ومستمر، لا يوقف ولا يصح أن يتوقف، ومن خلال التجدد والاستمرار يتجلى الابتكار، ويكون العطاء متدفقا، وكذلك هي طبيعة البحث العلمي، وهذا ما يجب أن نفعله، ونحث عليه طلاب الدراسات العليا وأساتذتها في إعداد رسائلهم العلمية.

- **اللوائح والأنظمة الخاصة بالبحث العلمي تدعو إلى الابتكار وتحث عليه**

وقد أدرك القائمون على البحث العلمي في بلادنا - حفظهم الله- أهمية الابتكار فأكدوا عليه، وجعلوا عنصرا أساسيا في الأفكار البحثية لرسائل الماجستير والدكتوراه، وأفردوا له مادة خاصة به في اللائحة الموحدة للتعليم العالي.

ورد في المادة الأولى لأهداف الدراسات العليا ما يأتي: تهدف الدراسات العليا إلى تحقيق الأغراض الآتية، وقد ذكرت ستة أغراض، اثنان منها متعلقان تعلقا كبيرا بالابتكار.

رقم اثنين: ((الإسهام في إثراء المعرفة الإنسانية بكافة فروعها عن طريق الدراسات المتخصصة والبحث الجاد للوصول إلى إضافات علمية وتطبيقات مبتكرة والكشف عن حقائق جديدة)).[12] ، فتأمل لفظة (إضافات)، و(مبتكرة)، و(جديدة) تجد أنها تدل دلالة صريحة على الابتكار وتدعو إليه، فالإضافة العلمية ابتكار، والحقائق الجديدة ابتكار، وتنص على أن تكون التطبيقات مبتكرة، ذلك كل إيمان بأهمية الابتكار في البحوث العلمية، والتأكيد عليه.

رقم خمسة: ((تشجيع الكفايات العلمية على مسايرة التقديم السريع للعلم والتقنية ودفعهم إلى الإبداع والابتكار وتطوير البحث العلمي وتوجيهه لمعالجة قضايا المجتمع السعودي)) [13]، وفي هذه المادة تأكيد ونص على الإبداع والابتكار فهما سبيل تطوير البحث العلمي، ويجب أن تكون هذه المعالجة مبتكرة، فبدون ابتكار لن تكون معالجة مفيدة، وبدون الابتكار لن تتقدم عجلة التطور، وبدون الابتكار لن يكون للبحث العلمي نفع ولا أثر .

كما ورد التأكيد على الإبداع في المادة (الثالثة والأربعين) من أهداف الدراسات العليا، وفيها: ((ويجب أن تتميز موضوعات رسائل الماجستير بالجدَّة والأصالة، كما يجب أن تتميز موضوعات رسائل بالأصالة والابتكار والإسهام الفاعل في إنماء المعرفة في تخصص الطالب)) [14]

---

(4) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 525
(5) سورة البقرة: 219 .
(6) سورة الأعراف: 176 .
(7) سورة الروم: 8 .
(8) سورة الزمر: 9
(9) سورة العنكبوت: 43
(10) سورة ص: 29 .
(11) سورة المائدة: 31 .
(12) نظام مجلس التعليم العالي والجامعات ولوائحه: 234
(13) نظام مجلس التعليم العالي والجامعات ولوائحه: 234
(14) نظام مجلس التعليم العالي والجامعات ولوائحه: 262

وفي لفظة (يجب) تأكيد على مبدأ التميز والابتكار، فهو على سبيل الإلزام، وليس الاختيار، فليس الباحث فيه مخيرا، بل يجب عليه وجوبا أن يتسم بحثه بالابتكار. ولذا فمن حق القسم العلمي أن يرد الأفكار البحثية التي تخلو من التميز والإبداع، التي لا تشتمل على الجديد في مجال التخصص، فلا تعدو أن تكون تكرارا، ونقولا من رسائل علمية سابقة، وفي هذا إضاعة للأوقات والجهود، والطاقات العلمية والبشرية.

والتأكيد على شرط الإبداع والابتكار في مرحلة الدكتوراه أشد واكد منه في مرحلة الماجستير بنص اللائحة السابقة، ففي الماجستير (الجدة والأصالة)، أما في رسائل مرحلة الدكتوراه فلا بد من (الأصالة والابتكار والإسهام الفاعل في إنماء المعرفة)، وهنا يكون التميز، ويكون التحدي.

اللائحة أكدت على تميز الأفكار البحثة، وأكدت على موضوع الابتكار، ودعت إليه على سبيل الوجوب، وطالبت بها، ولكن للأسف يتساوى في بعض الأحيان، وفي بعض الجامعات الطالب الجاد، وكذلك الطالب الضعيف، فتقبل الفكرة التقليدية، كما تقبل الفكرة المبتكرة المتميزة، ويتساويان للأسف في كل شيء.

- **فما دامت اللوائح والأنظمة تنص على أهمية الابتكار في البحوث العلمية، وتذكر ذلك على سبيل الوجوب، فمن المخاطب بذلك ومن المسؤول عن تحقيقه؟ من المسؤول عن وجوب توافر الابتكار في البحوث العلمية؟**

المسؤولية - في نظري- تقع على الأطراف المشتركة، وذات العلاقة في البحث العلمي، تقع على عاتق طلاب الدراسات العليا وطالباتها في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وعلى الجهات الأخرى المسؤولة عن طلاب الدراسات العليا وطالباتها، والمراد بذلك: الأقسام العلمية باختلاف تخصصاتها وتعددها، وكذلك عمادة الدراسات العليا، وعمادة البحث العلمي، فيجب أن يكون الابتكار في البحث العلمي هاجسا لديهم، وهدفا يسعون إلى تحقيقه، وتوافره في كل بحث.

أما ما يتعلق بطلاب الدراسات العليا وطالباتها فعليهم البحث في حقول ومجالات لم تطأها أقدام الباحثين قبلهم، فيكونون مبتكرين في الوصول إليها، وفي البحث فيها، وحين تخلو البحوث من الابتكار فستفقد قيمتها العلمية، وتفقد خصوصيتها وتميزها، بل ستغرق في بحر الدراسات السابقة، ولن يجد الباحث لنفسه ولا لبحثه مكانا مرموقا، يشار إليه بالبنان، بل سيكون معادا مكررا. وسيفقد أهم ما يميزه وهو الإبداع والابتكار.

فنصيحتي لك يا طالب الدراسات العليا أن تجعل الابتكار لك شعارا وعنوانا، فكن أول من يطرق الموضوع الذي تكتب فيه، وستجني ثمرة ابتكارك، وستحمد العاقبة، وسيكون بحثك مرجعا رئيسا يفيد منه كل المتخصصين.

وأما ما يتعلق بالجهات الرسمية والمسؤولة عن طلاب الدراسات العليا، فيتعلق أولا بالمرشد العلمي، فهو المسؤول الأول الذي يقرّ الفكرة البحثية، ويقبلها، ويسمح لطالبه أن يقدمها.

ورد في اللائحة وبالنص: ((يكون لكل طالب دراسات عليا مرشد علمي مع بداية التحاقه بالبرنامج؛ لتوجيهه في دراسته، ومساعدته في اختيار موضوع الرسالة، وإعداد خطة البحث)). [15]

ولكن ما مدى قيام المرشد بمتطلبات الإرشاد العلمي؟ وما مدى تبنيه للفكرة البحثية؟ وحرصه على الأفكار البحثية المبتكرة؟ هل يحث طلابه الذين يرشد عليهم على الابتكار والإبداع؟ وهل قضية الابتكار في الفكرة البحثية هاجس عنده؟ وتشغل باله؟ ومقتنع بها؟ حتى يخاطب بها طلابه، ويحثهم عليها، أو أنه على النقيض تماما من ذلك؟ فلا تعنيه ولا تشغل باله، فإذا كان هذا حاله ففاقد الشيء لا يعطيه، فلا غرو إذن - والحالة هذه - أن تكون الأفكار البحثية نمطية تقليدية، تخلو من الإبداع، وروح الابتكار، كيف لنا أن نفسر لفظة (المساعدة) الواردة في اللائحة؟ وما طبيعتها وما حدودها؟ فما معنى أن يكون المرشد مساعدا للطالب في اختيار موضوع رسالته؟ وما أثره هذه المساعدة؟ وهذا الإرشاد والتوجيه في ذكر مسارات بحثية جديدة؟ وفي تقديم أفكار بحثية مبتكرة؟

وهل الابتكار هم وهاجس عند المسؤول، بدءا من عضو هيئة التدريس، وانتهاء بوكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي؟ وهل يصح أن يلقى هذا الأمر على عاتق المرشد العلمي فقط، أو يمتد ليطول الأقسام العلمية، وينتهي إلى آخر مسؤول في العملية البحثية؟

وثمة سؤال مهم يجب أن نتوجه به إلى أنفسنا وإلى جميع القائمين على العملية التعليمة والبحثية، وهو: ما طبيعة تعاملنا مع طلابنا الذين ندرسهم، ونشرف عليهم؟ كيف نتعامل معهم؟ وكيف نقدر أفكارهم؟ ونرعى عقولهم ومواهبهم؟ ما طبيعة تعاملنا مع طلابنا الذين ندرسهم ونشرف عليهم؟ وكل الذي أخشاه أن نكون بيئة قاتلة للابتكار بوعي وبلا وعي، وبقصد وبلا قصد.

والمعنيّ بهذا الكلام الأقسام العلمية فهي المسؤولة المسؤولية المباشرة عن طلابها، وعن الأساتذة التابعين لها، فعليها أن ترعى الابتكار، وتدعو إليه، وتحث عليه طلابها وأساتذتها، وتقدم الجوائز والمكافآت المالية والمعنوية لمن يشق طريقه نحو الإبداع والابتكار في بحوثه العلمية، وأن تتبناهم، وتتبنى نشر بحوثهم العلمية.

(15) نظام مجلس التعليم العالي والجامعات ولوائحه: 261

كل ما أخشاه أن نكون بيئة قاتلة للإبداع، تئد الابتكار في مهده، ومن هنا يجب أن يكون للأساتذة والأستاذات من أعضاء هيئة التدريس نصيب من حديثنا عن الابتكار، وكذلك الجامعات، فهي المرجع الأول والأخير له، وهي البيئة الحاضنة له، وهي الجهة الأولى المسؤولة عن الابتكار في بحوثنا العملية، على كافة المستويات، وفي جميع التخصصات.

الابتكار مهارة ممكن تعلمها، والتدرب عليها، وليست مستحيلة، ولو تم توجيهها لكتابة أبحاث علمية مبتكرة ستؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، وهذه دعوة لامتلاك هذه المهارة، ونشر ثقافتها، وجعلها في أيدي متناول الباحثين، وتذليل كل عقبة وصعوبة تحول دون ابتكاراتهم في مجال البحث العلمي.

كما لا يخفى أهمية التحفيز المعنوي والمادي بأنواعه لطلاب الدراسات العليا وطالباتها، ولا يصح أن يكون هذا التحفيز اجتهادات فردية، وجهودا شخصية، بل تتبناها جهات تعليمية ترعى البحث، وتهتم بالباحثين.

ومن المهم جدا: أن نربي أبناءنا وطلابنا على الحوار والنقاش والنقد البناء الهادف، وعلى التفكير الإبداعي، وعلى إبداء الرأي، وعلى الجرأة في الطرح، ففاقد الشيء لا يعطيه، وأنى لطالب تربى على الصمت وعلى الاتباع؟! وعلى أن يسير على خطا من سبقه، ويقرع سمعه كن كما كنا، وسر على خطانا، فما نريك إلا ما نرى، فمن تربى على هذا، وعاش في مثل هذه البيئة العلمية والاجتماعية، لن يكون مبتكرا، وسيكون نصيبه من الابتكار علمه أن هناك شيئا اسمه الابتكار، ولكنه ظل الطريق إليه، يسمع عنه ولم يره، ولم يجد من يأخذ بيده، ويدله عليه، ويذلل عقباته، وكل الصعاب التي تعترض سبيله.

وأخيرا: لن يتحقق الابتكار في بحوثنا العلمية بين يوم وليلة، أو بين عشية وضحاها، ولا يصح أن يكون شعارا نتغنى به، وأمرا ندعيه، بل غاية سامية، ومشروع حياة لنا ولطلابنا وللأجيال القادمة.

وعلى عاتق الجامعات والمراكز البحثية وقادة الفكر تكون المسؤولية، وليس هو بالأمر اليسير، ولكنه سهل على من سهله الله عليه، وكان صادقا مع نفسه، محبا لمجتمعه ولوطنه.

وأما لماذا الابتكار في البحوث العلمية؟

فلأن النفوس فُطرت على حب الابتكار، والتعلق به، والدعوة إليه، وقبوله والترحيب به، ولذا فالجميع يعجب بالفكرة البحثية المتميزة، القائمة على الإبداع والابتكار، كما أنها تفرض نفسها، ويعجب بها الجميع وتحظى بالقبول والموافقة، وكل يريد الإشراف عليها، ومن فاته فضل الإشراف عليها، فيحرص كل الحرص على مناقشتها؛ ليناله شيء من ابتكارها، ويطوله شيء من تميزها، وحسبه أن يُقرن بها، ويُذكر معها.

وعلى الباحث سواء كان طالبا أو أستاذا أن يبحث في حقول علمية، ومجالات لم تطأها أقدام الباحثين قبله، فاحرص كل الحرص أن تكون أول من طرق الموضوع الذي تكتب فيه، أعلمُ أن ذلك شاق وعسير، وليس بالأمر اليسير، وستتعب في بداية الأمر، وفي فترة إعداد بحثك ولكن ستحمد العاقبة -بإذن الله – وستقطف ثمرة تميزك، وستكون عاقبة ابتكارك خيرا، وستنعم بخير مآل، وبأفضل حال بعد الانتهاء من إعداده، وسيكون بحثك مرجعا رئيسا يفيد منه كل المختصين.

وعلى الباحث سواء كان طالبا أو أستاذا أن يحرص على الابتكار والجديد والتجديد في بحوثه وأفكاره البحثية، ومن فقد الابتكار فسيبحث في مجال بحثه كثيرون قبله، ومن ثم يدخل في عوامة الدراسات السابقة، وبالكاد يخرج منها، وقد يعجز أن يوجد لنفسه ولفكرته البحثية مكانا بينها، فيكون ذلك سببا لرد فكرته البحثية ورفضها.

ومما لا يختلف حوله اثنان: أن البحوث العلمية بوابة التطور والإنجاز، ولكن أي بحوث تلك التي تصنع الإنجاز، وتقود إلى التطور؟ إنها البحوث المبتكرة المتميزة في فكرتها البحثية، وفي خطتها العلمية، وفي عمقها العلمي، وفي لغتها الأكاديمية، وفي نتائجها التي لم تسبق إليها، فكانت مرجعا في تخصصها، تفيد كل من يرجع إليها، ويجد كل من يطلع عليها بغيته العلمية، تلك بعض مجالات الابتكار، وبعض غاياته، ومما أنا مقتنع به غاية الاقتناع: أن الابتكار ليس له غاية يقف عندها، وكذلك مجالاته لا حصر لها.

وأنا على يقين أن البحوث المبتكرة المتميزة تظهر للنور، ولن تقبع تحت الظلام، ولن يتراكم عليه غبار الزمن، ولن تظل حبيسة الأدراج، الأمر الذي يدعو للاهتمام بالفكرة البحثية، فهي أصل الابتكار في البحوث العلمية.

ولذا فاختر أيها الباحث موضوعا متميزا في تخصصك، وحلق في سماء الابتكار في كل ما يتعلق باختيار الموضوع، وفي كتابة البحث، فالبحث العلمي يحتاج إلى من يتمتعون بالتفكير الإبداعي، فالباحثون المبتكرون هم القادرون على دمج مهارات التفكير الابداعي في كتابة أبحاثهم العلمية.

وهناك حاجة ماسة للتفكير الإبداعي الملهم في تقديم أفكار بحثية جديدة، ويجب أن يعلم أن الابتكار ليس أمرا صعبا ولا مستحيلا، فبالإمكان لكل باحث لديه الاستعداد أن يحققه، ويتمكن منه، ويكون مبتكرا بالتدريب والممارسة وبالإرادة الصادقة، وبالعزيمة وبالإصرار، وبتوفيق الله وتيسيره.

ولذا فاجعل أيها الباحث التميز هدفك، والإبداع إنتاجك، والابتكار عنوانك، والجودة شعارك، ولا تركن إلى التقليد، وابحث عن الجديد، وشق طريقك بنفسك، وافتح آفاقا جديدة من المعرفة، ولا تسر على خطا من سبقك.

وإن لم تكن مبتكرا في بحثك، وفي تخصصك العلمي، فستكون رقما لا قيمة له، وشخصا عابرا في القسم الذي تنتمي إليه، فاختر لنفسك الموضع الذي تريد أن تكون فيه، وتذكر قول الشاعر أحمد شوقي: وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا [16]

ومما يجب ذكره وتقريره هنا أن الابتكار ليس له غاية يقف عندها، ولا حصر لمجالاته، ولو حُصر لما صح أن يُسمى ابتكارا، لأن الابتكار متجدد، يبدأ ولا ينتهي، والابتكار مطالب به كل من ينتمي إلى البحث العلمي، سواء كان طالبا أو أستاذا، وكذلك المؤسسات البحثية، فكلها مطالبة بالابتكار، فلا قيمة لبحث خلا من الابتكار، ولن يكون له أثر ولا تأثير على صاحبه، ولا على المجتمع الذي سيتلقى هذا البحث.

وهذا الابتكار الذي نطالب به يذهب في طريقين، أو يكون في مجالين:

المجال الأول: في اختيار الفكرة البحثية ابتداء، في الموضوع الذي سيكتب فيه الباحث، بأن تكون فكرة متميزة مبتكرة، بعيدة كل البعد عن التكرار والنمطية، وتقليد الآخرين.

ويتطلب منا هذا أن نعيد النظر في آلية قبول الأفكار البحثية، وطريقة تقديمها، والتعامل معها، فمما يصيب الابتكار في مقتل أن تُقبل الفكرة الضعيفة، كما تقبل الفكرة المتميزة، فمن المؤسف أن الأفكار المبتكرة لا تحظى بشيء من الأهمية والاحتفاء بها وبصاحبها، بل تعامل كما تعامل بقية الأفكار الأخرى، وهذه مصيبة سيعود وبالها على البحث وتطوره.

المجال الثاني: في طريقة الكتابة، فلا يكفي أن تكون الفكرة مبتكرة، بل يجب أن يتبعها أن تكون كتابة هذه الفكرة المبتكرة بطريقة مبدعة ومتميزة، وإلا فلا معنى لفكرة مبتكرة كُتبت بطريقة نمطية تقليدية، وهذا يتطلب مهارات ومعلومات يجب أن تتوافر في الباحث حتى يكون أهلا في الكتابة والبحث في الأفكار المبتكرة، وهذا يؤكد أيضا أننا حين نطالب بالبحوث المبتكرة فأننا في الوقت نفسه نطالب بوجود باحثين متميزين مبدعين قادرين على الكتابة في هذه الموضوعات المبتكرة، وإلا فستموت فكرته البحثية قبل أن ترى النور، ولن تظهر تلك البحوث، ولن تصل إلى نهايتها، ولن تحقق غايتها وأهدافها، ويتطلب من هذا أن نعيد النظر في تأهيل الباحثين، وفي طريقة إعدادهم.

ومما يجب ذكره هنا والتأكيد عليه: أن الابتكار في البحوث العلمية مسؤولية الجميع، فليس هي مسؤولية الطالب والباحث، ولا يصح أن تلقى على عاتقه فقط، فيكون وحده هو الملوم والمحاسب، بل هي مسؤولية الجميع، بل لا يصح أن تكون الأقسام العلمية في هذا المجال سلبية وأسيرة لما يقدمها الطلاب من أفكار بحثية، بل يجب أن يبادر ويطرح مشاريع بحثية مبتكرة، تخدم طلاب الدراسات العليا، والباحثين بعامة، ويعود أثر ذلك على المجتمع بكافة أطيافه، وجميع تخصصاته.

ولن تتطور الأفكار، ولن نصل إلى الابتكار، ولن تتسع دائرة المسارات البحثية إلا بتكاثف الجميع، وعمل الجميع، ومشاركة الجميع، فالابتكار في المشاريع البحثية ليس عملا فرديا، بل هو مؤسسي، وتراكمي، لا يكون مرة ثم ينقطع، كما أنه مسؤولية الجميع، وليس هو على عاتق بعضنا دون البعض الآخر.

خاتمة البحث:

وبعد هذا الإبحار في بيان معنى الابتكار وأهميته في إثراء البحث العلمي، يصل البحث إلى خاتمته، والباحث إلى غايته التي أراد بيانها وتقريرها من خلال الكتابة في هذا الموضوع، وهذه أبرز النتائج التي أمكن الوصول إليها والخروج بها.

أولا: للابتكار أثره الفاعل في ثراء البحث العلمي، فمن خلال الابتكار تتجدد العلوم، وتتولد الأفكار، ونقضي على الأفكار المكررة التي أكل عليها الدهر وشرب، ونتخلص كذلك من الروتين الممل، ومن التقليد الأعمى، ومن التبعية العلمية في الأفكار البحثية، وفي الآراء العلمية.

ثانيا: ثمة ارتباط وثيق بين المعاني اللغوية للابتكار وبين المعنى الاصطلاحي الذي ندعو إلى وجوه في بحوثنا العلمية، فالابتكار في اللغة العربية بمعنى: الأول في كل شيء، وهذا ما يحب أن تكون عليه بحوثنا، وهذا ما ندعو إليه في مشاركاتنا ولقاءاتنا العلمية والبحثية، وهذا ما نحث عليه طلاب الدراسات العليا وطالباتها، أن تتميز بحوثهم من خلال الابتكار، وأن يكونوا رائدين في مجالاتهم العلمية، متميزين في بحوثهم العلمية.

ثالثا: الابتكار الذي نطالب به الباحثين من الأساتذة من أعضاء هيئة التدريس، ومن طلاب الدراسات العليا في بحوثهم العلمية ليس ترفا فكريا، بل هو حاجة ملحة في ظل الأزمات والتعقيدات، فينبغي أن تكون الأفكار لدينا أكثر من مشكلاتنا، وأن تُحل بطريقة علمية مبتكرة.

رابعا: في الابتكار اعتراف بقدرات العقل، فطاقات العقل لا حدود لها، فهو الذي قاد العالم كله بأفكاره وابتكاراته، وما الصناعات والمنتجات إلا فكرة مبتكرة، وجدتْ التشجيع، وحظيت بمن يأخذ بيدها، فرأت النور، وأفادت البشرية.

(16) انظر: ديوانه: الشوقيات: 66/1 .

خامسا: في الابتكار تحقيقا لتميز الإنسان وتمايزه عن جميع المخلوقات، فقد ميز الله – سبحانه وتعالى – الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل، ومن خلال التوظيف الصحيح للعقل يكون الابتكار، وتكون الأفكار المبدعة التي تفيد الناس في حياتهم: أفرادا وجماعات.

سادسا: في الابتكار تحقيق للذات، وتوظيف للطاقات والقدرات التي منحنا الله إياها، ومن شكرها: الإفادة منها، وتوظيفها التوظيف اللائق بها، فلا حدود لطاقات العقل وقدراته، والتوظيف الصحيح له أن نطلق له العنان، ونجعله يحلق في سماء الإبداع والابتكار.

سابعا: يأتي الابتكار استجابة لكثير من الآيات القرآنية التي تأمر بالتأمل والتفكير والنظر والتدبر، فثمة نصوص قرآنية كثيرة تحث على التفكر والتأمل، وتعلي من شأن العقل والعقلاء.

ثامنا: الابتكار والبحث العلمي وجهان لعملة واحدة، ولن يستقيم البحث العلمي، بل لن يكون بلا ابتكار، بل سنحكم عليه بالموت والجمود والتوقف، فالابتكار طبيعة البحوث العلمية، وعليه تقوم وترتكز، ومنه تكون وتنطلق.

تاسعا: الابتكار مهارة ممكن تعلمها، والتدرب عليها، وليست مستحيلة، ولو تم توجيهها لكتابة أبحاث علمية مبتكرة ستؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، وهذه دعوة لامتلاك هذه المهارة، ونشر ثقافتها، وجعلها في أيدي متناول الباحثين، وتذليل كل عقبة وصعوبة تحول دون ابتكاراتهم في مجال البحث العلمي.

وهذه بعض التوصيات التي أختم بها مشاركتي وأدعو إلى تحقيقها والتأكيد عليها:

أولا: أن نربي أبناءنا وطلابنا على الحوار والنقاش والنقد البناء الهادف، وعلى التفكير الإبداعي، وعلى إبداء الرأي، وعلى الجرأة في الطرح، فمن خلال هذه الأساليب يكون الباحث مبدعا، وتكون بحوثنا العلمية مبتكرة.

ثانيا: أن نفتح المجال فسيحا أمام طلاب الدراسات العليا وطالباتها ليحلقوا في سماء الابتكار، في جميع مجالاته المتعددة، مع بيان العواقب الحميدة التي ستعود على البحث والباحثين وعلى الوطن بأسره حين ننطلق من الابتكار ونوظفه في البحث العلمي في جميع المجالات.

مصادر البحث ومراجعه:

1. ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان، تحقيق كل من: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
2. الشوقيات، شعر أحمد شوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
3. لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة: 1413هـ، بيروت، لبنان.
4. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت لبنان: 1407هـ.
5. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى: 1411، دار الجيل، بيروت.
6. نظام مجلس التعليم العالي والجامعات ولوائحه، الطبعة الرابعة: 1436هـ.